الثقفي أوّل من نشر روايات أهل البيت d في مدينة أصبهان ضداً للنواصب

الدكتور غلام حسين أعرابي (الكاتب المسؤول)
أستاذ مساعد، قسم علوم القرآن والحديث، كليّة الإلهيات والمعارف الإسلاميّة، جامعة قم، إيران
g.arabi@qom.ac.ir

Al-Thaqafi was the first to publish the narratives of Ahl al-Bayt (peace be upon them) in the city of Isfahan against the Nawasib

Dr. Ghulam Hussein Arabi (responsible writer)
Assistant Professor , Department of Quranic and Hadith Sciences ,
College of Theology and Islamic Knowledge , University of Qom , Iran

الملخّص:-

إنّ أصبهان من أقدم المدن الإيرانيّة، التي كانت مركزًا لديانات عدّة ومذاهب مختلفة، وبعد خلافة بني أميّة وظهور عداوتهم مع عترة النبي i صارت هذه المدينة مركزًا رئيسًا لنصب العداء. وبعد نشر روايات حكّام بني أميّة بهدف العداوة مع آل محمّد i ونقض مكانتهم ومنزلتهم عند الناس نشرت تلك الروايات الموضوعة والمكذوبة في أصبهان ووقعت في نفوس سكّانها وصار لعن الإمام علي بن أبي طالب a شعارًا لهم وبرز اللعن والسب في مجتمعهم وجماعتهم حتى أوائل القرن الثاني الهجري، وبعده. وبقي الحال حتى هاجر الراوي الشيعي، الثقفي في القرن الثالث للهجري إلى مدينة أصبهان وكان همه الأوّل نشر روايات أهل البيت d ، ونشر مثالب أعدائهم وجاحدي حقّهم. ورغم دعوته إلى قم المقدّسة من قبل الرواة القميين، لكنّه آثر الذهاب إلى أصفهان لما يرى في ذهابه من رفع للحيف الذي وقع على آل البيت الأطهار d من قبل أعدائهم، ونشرًا لفضائلهم، وبيانًا لشأنهم، إذ لا يخفى التغيب الذي مارسه أئمة الجور ورواة الضلال على أهل هذا البلد لكي يبتعدوا عن الآل الكرام d وينحرفوا عنهم.

الكلمات المفتاحيّة: أصبهان، النواصب، الرواة المعادين لآل محمّد (صلوات الله عليهم أجمعين)، الثقفي، كتاب المعرفة.

Abstract:-

Isfahan is one of the oldest Iranian cities, which was a center for several religions and different sects, and after the Umayyad caliphate and the emergence of their enmity with the family of the Prophet (may God bless him and his family and grant them peace), this city became a major center for the monument of hostility. And after the publication of the narrations of the Umayyad rulers with the aim of enmity with the family of Muhammad (may God bless him and his family and grant them peace) and to undermine their status and rank among the people, these fabricated and false narrations were published in Isfahan and fell into the hearts of its inhabitants, and the curse of Imam Ali bin Abi Talib (peace be upon him) became a slogan for them, and the curse and insults emerged. In their society and their group until the beginning of the second century AH, and beyond. And the situation remained until the Shiite, cultural narrator migrated in the third century AH to the city of Isfahan, and his main concern was to spread the narratives of Ahl al-Bayt (peace be upon them), and to spread the shortcomings of their enemies and those who denied their right.

Despite his invitation to the holy Qom by the Qumian narrators, he preferred to go to Isfahan because he saw in his going the removal of the shame that befell the pure Ahl al-Bayt (peace be upon them) by their enemies, and the dissemination of their virtues, and an explanation of their status, as it is not hidden that the absenteeism practiced by the imams of injustice And the narrators mislead the people of this country so that they turn away from the honorable family (them.

key words: Isfahan, positions, Narrators hostile to the family of Muhammad, althaqafii, kitab almaerifa.

التمهيد:

كانت مدينة أصفهان منذ القدم من المدن الإيرانيّة الكبيرة في مساحتها، وذات الكثافة السكانيّة العالية، وتعتبر من الحواضر الجامعة للكثير من الأديان والثقافات والمذاهب الدينيّة المختلفة والاتجاهات الساسيّة المتعددة، الّا أنّ مذهب أهل البيت d لم يكن نافذًا ولا شائعًا فيها، خلافًا لمدينة قم التي كانت تزخر بالولاء لهم. وكذلك مدينة الري (بالقرب من طهران) وكان الجامع الكبير هو ثقة الإسلام الشيخ محمّد بن يعقوب بن إسحاق الكليني ﵀ المتوفّى سنة(٢٣٩هـ) من أحدى قُرى الري المسمّاة ب (كُلين)، وكانت هناك مدن يجد فيها أتباع أهل البيت d الأمان على حياتهم ويمارسوا فيها عبادتهم ويعلنوا فيها عن شعائرهم مثل مدينة نيشابور وبعض مدن إيرانيّة أخرى.

لكن مدينة أصبهان كانت مع الأسف الشديد بعيدة كلّ البعد عن العترة الطاهرة، وشديدة العداء والبغض لآل محمّد (صلوات الله عليهم أجمعين)، بل أنّها كانت ترفع راية النصب وتتجاهر بعدائهم، وفيها نال الشيعة ما نالهم من البطش والتنكيل والإساءة، حتى ظهرت الدولة الصفويّة في القرن العاشر الهجري في المدّة الزمنيّة الواقعة بين (٩٠٧ - ١١٣٥هـ) وهي دولة شيعيّة أتخذت من المذهب الإمامي الأثني عشري مذهبها الرسمي، فبدأ النصب بالانحسار حتى هاجر النواصب من أصفهان شيئًا فشيئًا، وبدأ مذهب أهل البيت d بالانتشار وأصبح الشيعة ينعمون بالاستقرار والأمان بعد أنْ كانوا قد لاقوا الأمرّين وعانوا من التنكيل والأذى من لدن المتعصّبين المنكرين لفضل أمير المؤمنين وأولاده الأئمّة المعصومين d .

وبعد ذلك أضحت مدينة أصبهان مدينة تزخر بالحب والولاء لآل محمّد d ثمّ لتكون فيما بعد أحد مراكزالتشيّع في العالم الإسلامي وتخلّصت من براثن النواصب وأذنابهم بعد أنْ هربوا إلى المناطق البعيدة، وصار فيها جيلًا من الخواص والخلّص من رجال التشيع وحملة العلم المحمّدي الأصيل.

وجدير بالذكر أنّ بلاد سجستان (سيستان) أيضًا من أحدى البلاد التي تجذّر فيها حبّ أهل البيت d ، وأهلها لم يقبلوا السنّة الأمويّة المقيتة في لعن الإمام علي a ، إذ نقلت لنا المصادر التأريخيّة: ((... أنّه لُعن على بن أبي طالب، رضي الله عنه، على منابر الشرق

والغرب ولم يُلعن على منبرها إلّا مرّة، وامتنعوا على بني أميّة حتى زادوا في عهدهم أنْ لا يُلعن على منبرهم أحد ولا يصطادوا في بلدهم قنفذًا ولا سلحفاة، وأي شرف أعظم من امتناعهم من لعن أخي رسول الله، صلّى الله عليه وسلّم، على منبرهم وهو يلعن على منابر الحرمين مكّة والمدينة؟...))[1].

ويستفاد من بعض الروايات أنّ بلاد سجستان كانت محلًا لمحبي أهل البيت d وفي بعض الأزمان كان ولاتهم أيضًا من محبي الأئمّة d ومن شيعتهم. فمثلًا روى الكليني رحمه الله: ((... عَنْ رَجُلٍ مِنْ بَنِي حَنِيفَةَ مِنْ أَهْلِ بُسْتَ وسجِسْتَانَ قَالَ رَافَقْتُ أَبَا جَعْفَرٍ [الجواد] a فِي السَّنَةِ الَّتِي حَجَّ فِيهَا فِي أَوَّلِ خِلَافَةِ الْمُعْتَصِمِ فَقُلْتُ لَه وأَنَا مَعَه عَلَى الْمَائِدَةِ وهُنَاكَ جَمَاعَةٌ مِنْ أَوْلِيَاءِ السُّلْطَانِ إِنَّ وَالِيَنَا جُعِلْتُ فِدَاكَ رَجُلٌ يَتَوَلَّاكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ ويُحِبُّكُمْ وعَلَيَّ فِي دِيوَانِه خَرَاجٌ فَإِنْ رَأَيْتَ جَعَلَنِيَ اللَّه فِدَاكَ أَنْ تَكْتُبَ إِلَيْه كِتَاباً بِالإِحْسَانِ إِلَى فَقَالَ لِي لَا أَعْرِفُه فَقُلْتُ جُعِلْتُ فِدَاكَ إِنَّه عَلَى مَا قُلْتُ مِنْ مُحِبِّيكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ وكِتَابُكَ يَنْفَعُنِي عِنْدَه فَأَخَذَ الْقِرْطَاسَ وكَتَبَ بِسْمِ اللَّه الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ مُوصِلَ كِتَابِي هَذَا ذَكَرَ عَنْكَ مَذْهَباً جَمِيلاً وإِنَّ مَا لَكَ مِنْ عَمَلِكَ مَا أَحْسَنْتَ فِيه فَأَحْسِنْ إِلَى إِخْوَانِكَ واعْلَمْ أَنَّ اللَّه عَزَّ وجَلَّ سَائِلُكَ عَنْ مَثَاقِيلِ الذَّرِّ والْخَرْدَلِ. قَالَ: فَلَمَّا وَرَدْتُ سِجِسْتَانَ سَبَقَ الْخَبَرُ إِلَى الْحُسَيْنِ بْنِ عَبْدِ اللَّه النَّيْسَابُورِيِّ وهُوَ الْوَالِي فَاسْتَقْبَلَنِي عَلَى فَرْسَخَيْنِ مِنَ الْمَدِينَةِ فَدَفَعْتُ إِلَيْه الْكِتَابَ فَقَبَّلَه ووَضَعَه عَلَى عَيْنَيْه ثُمَّ قَالَ لِي مَا حَاجَتُكَ فَقُلْتُ خَرَاجٌ عَلَى فِي دِيوَانِكَ قَالَ فَأَمَرَ بِطَرْحِه عَنِّي وقَالَ لِي لَا تُؤَدِّ خَرَاجاً مَا دَامَ لِي عَمَلٌ ثُمَّ سَأَلَنِي عَنْ عِيَالِي فَأَخْبَرْتُه بِمَبْلَغِهِمْ فَأَمَرَ لِي ولَهُمْ بِمَا يَقُوتُنَا وفَضْلاً فَمَا أَدَّيْتُ فِي عَمَلِه خَرَاجاً مَا دَامَ حَيّاً ولَا قَطَعَ عَنِّي صِلَتَه حَتَّى مَاتَ))[2].

مدينة أصبهان من معاقل النصب لآل محمّد d :

من معاقل النصب المشهورة مدينة اصفهان كما مرّ، إذ كانت محلّا للنواصب، وكانت قبل الدولة الصفويّة يقطنها أبناء المذهب الحنفي والشافعي، وكان بين أبناء المذهبين نزاعًا شديدًا انتهى إلى الاقتتال فيما بينهم والحرب، وكانت الحرب دائمة بينهما على السوق، ونقل في التاريخ أنّه في زمن هجوم التتار ووقوع أصبهان تحت حصارهم ذهب أتباع المذهب الشافعي إلى إبن جنجيز (جنكيزخان) قائد التتار وقالوا: نحن نسلّم المدينة لكم على أنْ

تقتلوا الأحناف وإن شئتم قاتلناهم معكم، وبالفعل دخل التتار مدينة أصبهان وقتلوا الناس جميعًا ولم ينجوا منهم حتى أتباع المذهب الشافعي الذين تحالفوا معهم و فتحوا أبواب المدينة لهم، وكانوا عونًا لهم على إخوانهم من المسلمين الأحناف، ونكلّ التتار بالشوافع إذ بدء القتل بهم(٣).

وشاع في هذه الأجواء المتأزّمة والملتهبة التي يسودها الاختلاف ويكثر فيها الانشقاق وتعمها العداوة نصب أهل بيت النبي d وتربّت عليه صغارهم وشابت عليه كبارهم أعوام وعقود حتى بلغت القرون من الزمان، إذ بدأت بالانحسار مع القرن الحادي عشر الهجري؛ وقال بعضٌ: أنّ روايات ذمّ أصفهان وأهلها كانت ناظرة إلى هذه الأجواء وشاملة لأهل ذلك الزمان إذ كانوا أهل نصب وعداوة لآل محمّد d فالروايات على مضمون لن يفلح أصفهاني أبدا، أو ((ما أحسن أو ما أفلح أصفهانيّ قطّ))(٤)،ناظرة إلى أهل أصفهان في زمان نصبهم وعداوتهم(٥).

ونقل في كتب التاريخ أنّ أهل أصفهان بعد ما منع عمر بن عبد العزيز لعن الإمام علي بن أبي طالب a ، طالبوه عن طريق بعض ولاته أنْ يمهلم حتى يتم لهم أربعين يومًا يلعنوا فيها أمير المؤمنين a ثمّ يكفوا عن اللعن(٦).

نشأة النواصب:

يمكن أنْ يقال أن ليس ثمّة اختلاف بين الشيعة وأهل السنّة في تعريف الناصبي، إذ أتفقت كلمتهم على أنّ الناصبي من أعلن بغضه بالنسبة إلى على بن أبي طالب a وآل محمّد d جميعًا(٧).

وقال بعض أهل السنّة: النواصب هم المبغضون لعلي a ولم يصرّحوا بأسماء سائر آل محمّد d (٨).

إنّ تكوّن النواصب كتيارٍ ناشطٍ ضدّ أهل البيت d يرجع إلى المدّة الزمنيّة بين مقتل عثمان و خلافة على a . إذ ظهر في ذلك الحين تيار تحت عنوان (شيعة عثمان) والتحق ذلك التيار بمعاوية وبدأ بالعمل ضدّ على a (٩) في حين صرّح بعض كاتبي أهل السنّة أنّ النصب ظهر بعد حرب صفين(١٠).

وبالمقابل ذكر بعض الكتّاب أنّ النزاع المشهور بين بني هاشم وبني أميّة في عصر الجاهليّة وقبيل الإسلام كان عاملًا من عوامل ظهور النصب بعد الإسلام بين بني هاشم وبني أميّة، إذ كان النزاع عريقًا و مرتبطًا بمرحلة ما قبل الإسلام ولكنه بعد الإسلام تجذّر وأضيف له لون من ألوان المذهبيّة الدينيّة(١١).

ويمكن لنا أنّ نذكر نشاطات النواصب بالنقاط الآتية:

١- حبهم الشديد لمعاوية وبني أميّة؛ حتى نقل أنّ نواصب أصفهان قائلون بنبوة الخلفاء الثلاثة ومعاوية وأنكروا على من أنكر نبوّتهم(١٢).

٢- كان شعارهم محبّة يزيد وأنكار خلافة على a (١٣).

٣- التبرّي من على بن أبي طالب a وكانوا يفسّقونه ويكفّرونه(١٤).

٤- أعتقدوا أنّ عليًا ما كان على حقٍ في حروبه(١٥).

٥- كان النواصب يمدحون عمر بن سعد بن أبي وقّاص وكلّ من أسهم في قتل الإمام الحسين a (١٦).

٦- جعل النواصب يوم عاشوراء عيدًا وكانوا يظهرون فرحهم لقتل ريحانة رسول الله الإمام الحسين a في هذا اليوم(١٧) وقال ابن تيمية: أنّ هذا العمل منهم كان بدعة هم ابتدعوها(١٨).

٧- كانوا يختلقون رواياتًا و يضعون الأحاديث كذبًا ضد أهل البيت d (١٩).

٨- كانوا يستهزئون بأهل البيت d ويسخرون منهم(٢٠).

الرواة النواصب:

كان من أهم عوامل الوضع في الحديث الشريف وكثرة الوضاعون الناصبون أنّ معاوية قام بأصدار كتابًا إلى عمّاله يدعوهم فيه إلى نشر الأحاديث المكذوبة الموضوعة على رسول الله i ضدّ أهل البيت d وأمرهم بأذاعتها بين الناس(٢١).

حتى نقل أنّ ستين نفرًا من بين رواة البخاري من النواصب(٢٢).

ومن هؤلاء الرواة: أسد بن وداعة، أبو بكر محمّد بن هارون، خالد القسري، إسحاق بن سويد، نعيم بن أبي هند، أزهر بن عبد الله الحمصي، حريز بن عثمان، ربيعة بن يزيد.

وكانوا هؤلاء من النواصب الذين لا يبالون بإظهار العداوة لعلي a [٢٣].

وكان بعض هؤلاء الرواة مثل حريز بن عثمان يلعن عليًا a صباحًا ومساءً سبعين مرّة[٢٤].

وكان إسحاق بن سويد يقول: ما أُحب علياً[٢٥].

وبعض هؤلاء الرواة أنكروا الروايات الصحيحة المتواترة في حقّ علي a ، مثل ما قام به حريز بن عثمان إذ قال: أنّ رواية المنزلة صحيحة ولكن السامع أخطأ في نقله وغيّر حديث النبي i ، فالنبي على زعمه ما قال: ياعلي أنت مني بمنزلة هارون من موسى؛ بل قال i : أنت مني بمنزلة قارون من موسى[٢٦].

ومن هؤلاء الرواة من كان يهجو عليًا a وينتقده في قتله لأعداء الإسلام، مثل إبراهيم بن عبد الله بن يعقوب الجوزجاني، والذي كان شديد البغض والانحراف عن أمير المؤمنين a ، إذ نقلت لنا المصادر أنّه: ((... كان من الحفاظ المنصفين والمخرجين الثقات، لكن كان فيه انحراف عن علي بن أبي طالب اجتمع على بابه أصحاب الحديث فخرج إليهم فأخرجت جارية له فروجة لتذبح، فلم تجد أحداً يذبحها فقال: سبحان الله لا يوجد من يذبحها وقد ذبح علي بن أبي طالب في ضحوة نيفًا وعشرين ألفًا... [وفي نقل آخر] قال: يا قوم تعذر على ذبح دجاجة وعلي بن أبي طالب قتل سبعين ألف في وقت واحد))[٢٧].

وهكذا يضعون الأكاذيب ليرضوا ظمائرهم الخبيثة ونفوسهم المريضة التي متلأت حقداً على علي a الذي جندل أبطالهم فهم لم ينسوا بعد ما لعلي a من أثرٍ على خراطيم أبائهم حتى قالوا لا إله الّا الله، على أنّ مقامهم اليوم ليس مقام الأمس فهم اليوم بعنوان رواة أحاديث يدعمهم حكّام الجور وسلاطين الضلال على إظهار العداء والمجاهرة بالنصب لآل محمّد d ، وكان هذا النصب بعد مدّةٍ زمنيّة قليلة من رحلة النبي الأكرم i ، وشاع النصب وكثر النواصب في مدن شتّى في بلاد المسلمين.

وكان من أفعال النواصب السيئة الأخرى قولهم بأنّ روايات الشيعي الثقة إنْ كانت مؤيّدة لمذهبه لا تقبل، وصرّح أحد كتّاب أهل السنّة بأنّ هذا القول ابتدعته النواصب، إذ

كتب: ((إنّ ردّ حديث الثقة الشيعي إذا كان يؤيّد مذهبه لم يصدر الّا من النواصب ومن لف حولهم واختار قولهم ودار في فلكهم. وأمّا أهل الانصاف، من أئمّة الحديث سلفًا وخلفًا، فلا يقولون بهذا الهراء الذي لا طائل تحته. والذي يدلّ على التخريف و التحريف. ولهذا إحتجّ الشيخان بما رواه الشيعة الثقات من الأحاديث التي تؤيّد مذهبهم، كحديث: أنت مني بمنزلة هارون من موسى. فقد رواه البخاري من طريق عبد الله بن موسى العبسي وقد كان شديد التشيّع))[٢٨].

ثم جاء ذلك الكاتب بمثال آخر على أخذ أهل السنّة من طريق رواة الشيعة، وأكّد أنّ أئمّة أهل السنّة الآخرين استمرّوا بالأخذ عن رواة الشيعة، إذ قال: ((كذلك حديث: لا يحبك الّا مؤمن ولا يبغضك الا منافق. رواه مسلم في صحيحه من طريق عدي بن ثابت، وقد كان شيعيًّاغاليًا، بل كان داعية. وتبعهم على ذلك بقيّة الأئمّة الذين جمعوا الصحاح وألفوا السنن، فقد رووا في هذه المصنّفات العدد الكثير من حديث الشيعة فيما يؤيّد مذهبهم، وصرّحوا بصحتها أو صحة أكثرها. وكلّ هذا يدلّ على أنّ ما زاده الجوزجاني [حيث أنّه تبعًا للنواصب قال: لا يقبل حديث الشيعي الثقة إذا كان حديثه مؤيّدًا لمذهبه] وتبعه عليه الجهلة؛ من انواصب ومبغضي آل البيت. مع كون حديث الشيعيلا يقبل إذا كان يؤيّد مذهبه وينصر رأيه، باطل لا أصل له، و لا يشهد له عقل ولا ي}يّده نظر ولولا ضيق الوقت لذكرنا العدد الكبير من الأحاديث التي رواها الشيعة الثقات فيما يؤيّد مذهبهم وصححها الأئمّة و أخرجوها في كتبهم))[٢٩].

وهذا انصاف من الكاتب وتبيين ظريف لدور الرواة الثقات من الشيعة في نقل الأحاديث التي اعتمد عليها أهل السنّة سلفًا و خلفًا. ورغم أنف النواصب فقد نجح الرواة من الشيعة في بثّ روايات آل محمّد الأطهار d في أنحاء مختلفة من العالم الإسلامي ومنا مدينة اصبهان حيث هاجر الثقفي من الكوفة إلى اصبهان وبذل الجهد الكبير في نشر روايات أهل البيت d التي يروونها عن جدهم النبي الأعظم i في مدينةٍ كانت مهدًا للنواصب وأعداء للأئمّة الأطهار d .

الثقفي وهجرته إلى أصبهان:

١ ـ أسمه و نسبه أسرته وتوثيقه:

هو أبو إسحاق إبراهيم بن محمّد الثقفي الكوفي، ليس هنالك من المؤرخين من أرّخ سنة ولادته، ولا أحد من الرجاليين أو المهمتين بالتراجم والسير ذكر ذلك، الّا أنّه كوفيّ المولد، ولكن تاريخ وفاته معلومًا إذ ذكرالشيخ الطوسي أنّ وفاته كانت في أصفهان سنة٢٨٣ هجريّة[٣٠].

ونسبه الكامل: أبو إسحاق إبراهيم بن محمّد بن سعيد بن هلال بن عاصم بن سعد بن مسعود الثقفي الكوفي[٣١]، كان من مشهوري عصره ومن فضلاء المؤلفين، وعُدّت كتبه بما يزيد على الخمسين كتابًا[٣٢].

وكان جدّه سعد بن مسعود الثقفي عمّ المختار بن أبي عبيدة؛ من الرجال النبلاء ولي المدائن في خلافة الإمام علي بن ابي طالب a وفي خلافة الإمام الحسن السبط الزكي a ، وهو الذي لجأ إليه الإمام الحسن a يوم ساباط[٣٣].

وكان ابو إسحاق في أوائل عمره زيديًا ثمّ اختار مذهب الشيعة الإماميّة الأثني عشريّة. وكتب كتابه المعروف بـ ((المعرفة)) في مناقب أهل البيت d وطهارتهم وأضاف فيه مثالب أعدائهم[٣٤].

ومن مصنفي أهل السنّة من ذكر وصف الثقفي فمثلًا ابن النديم كتب في وصفه أنّه: ((... من الثقات العلماء المصنّفين وله من الكتب كتاب أخبار الحسن بن على a))[٣٥].

هجرته إلى أصبهان:

يكمن سبب انتقاله والموجب في هجرته في دفاعه عن أهل البيت d ورغبته الأكيدة في الذبّ عن التشيع والأكاذيب التي حيكت ضدّه من جهة، ومن جهة أخرى نشر روايات أهل البيت d والتحديث بفضائلهم في النواحي التي نأت عن وجودهم الشريف، وأذاع بها أعدائهم كلّ ما يشين بسمعتهم الطيّبة المباركة، قال النجاشي: ((... وكان سبب خروجه من الكوفة أنّه عمل كتاب المعرفة، وفيه المناقب المشهورة والمثالب، فاستعظمه الكوفيون وأشاروا عليه بأنْ يتركه ولا يخرجه، فقال: أي البلاد أبعد من الشيعة فقالوا: أصفهان، فحلف لا أروي هذا الكتاب إلّا بها فانتقل إليها ورواه بها ثقة منه بصحّة ما رواه فيه))[٣٦].

عصره:

كتب محقّق كتابه ((الغارات)) وهو من الكتب التي ألّفها الثقفيّ، عن ضروف العصر الذي عاشه الثقفيّ، إذ قال: ((قد كان المؤلف - رحمه الله - يعيش في عصر لعبت فيه أيادي الفوضى والهمجية بالتفرقة بين المسلمين، الشيعة وإخوانهم العامة أهل السنة والجماعة، وكانت الشيعة وقتئذ قليلين مقهورين خائفين مستضعفين، ومع ذلك كانت الكوفة وقم إذ ذاك معهد علماء الشيعة ومهد عظمائهم يأوى إليهما كل من يبتغي علوم أهل البيت d وسماع أحاديثهم وأخبارهم ونشر رواياتهم وآثارهم))[٣٧].

ثمّ إنّ محقّق كتابه أشار إلى نكاتٍ علميّة جليلة تبرّز عمله وتوقفنا على أهميّته، قائلًا: ((وبما أنّ المؤلف ﵀ كان مولعًا بحب أهل البيت ومغرمًا ببث ما صدر عنهم d أخذ جانبًا حياديًا في تحمّل الأحاديث والروايات فسمع عن كلّ من عرف بالعلم وشهر بالفضل، ومن ثمّ ترى أنّ أكثر رواياته في هذا الكتاب مأخوذة من رواة أهل السنة والجماعة حتى أنّك ترى أنّ أكثر مشايخه هم الذين نقل عنهم الإمام البخاري ومسلم في صحيحيهما. وإذا أحطت خبرًا بذلك وتدبرت فيما ذكر في ترجمته من سبب انتقاله من مولده وموطنه الكوفة إلى إصبهان تبيّن لك أنّه - رضي الله عنه - قد كان رجلًا مجاهدًا في سبيل الله ومعدودًا في زمرة الذين لا تأخذهم في الله لومة لائم... وأبى عن الانتقال [من اصبهان] إلى قم عند وفود جماعة من وجوه علماء قم إليه والتماسهم الانتقال إليها))[٣٨].

وبهذا يظهر مدى جهد الثقفي وإرادته القويّة وجهاده الكبير والأهميّة البالغة لعمله في الهجرة إلى اصبهان، ومن ثمّ نجاحه في بث أحاديث أهل البيت d ونشر فضائلهم في عصرٍ ومصرٍ قل فيه الناصر، وكثر فيه العدو، فقد هجم فيه الأعداء على كثيرٍ من الأمصار ونشروا الحقد والبغض والعداء على آل محمّد الأئمّة الأطهار d ، وقذفوهم بكلّ ما هو سيء، واتهموهم بكلّ ما هو رديء من الأفعال والأقوال؛ نصرةً لبني أميّة وبني العباس الظالمين والغاصبين لحقّ الآل الأطهار d الذين هم قرناء الكتاب المجيد.

وقفة مع كتابه (المعرفة):

كان الثقفي مؤلّفًا نبيلًا، وحاصلًا على العلوم، متمكّنًا في القول، موفقًا في التأليف، حتى أنّه كتب ما يقرب من الخمسين كتابًا، إلّا أنّ كتابه موضع البحث الذي وسمه بـ

((المعرفة)) ذو منزلة عظيمة، ومكانة رفيعة، لما له من هدف طيب هو بيان شأن آل محمّد d والتعريف بهم وذكر فضائلهم والرد على خصومهم، ففي الكتاب يتجلّى واضحًا عمله في نقل فضائل كثيرة من فضائل ومقامات أهل البيت d وردّ الأعداء بالردود التي أفحمتهم وأذهبت بأكاذيبهم وافترآتهم.

والكتاب من الكتب المشهورة بين القدماء والمتأخرين من الفريقين ونقلوا مضامين الكتاب ورواياته في مصنّفاتهم، وذكر النجاشي والطوسي طرقمهم إلى الكتاب وذكرا أسماء كتب الثقفي في فهرستيهما ومن جملتها كتاب ((المعرفة)).

فمثلًا ذكر النجاشي كتب الثقفي، وبعد ذكرها أسمائها ذكر طرقه إلى كتبه هكذا: ((...أخبرنا محمد بن محمد قال: حدثنا جعفر بن محمد قال: حدثنا القاسم بن محمد بن على بن إبراهيم قال: حدثنا عباس بن السري عن إبراهيم بكتبه))[٣٩].

والظاهر أنّ محمّد بن محمّد هو الشيخ المفيد ﵀ أستاذ النجاشي والشيخ الطوسي (رحمهما الله).

والطريق الآخر للنجاشي إلى كتب الثقفي هو: ((وأخبرنا الحسين، عن محمد بن على بن تمام قال: حدثنا على بن محمد بن يعقوب الكسائي قال: حدثنا محمد بن زيد الرطاب عن إبراهيم بكتبه))[٤٠].

وطريقه الثالث: ((أخبرنا على بن أحمد قال: حدثنا محمد بن الحسن بن محمد بن عامر، عن أحمد بن علوية الأصفهاني، الكاتب المعروف بأبي الأسود عنه بكتبه))[٤١].

وطريق آخر: ((أخبرنا أحمد بن عبد الواحد قال: حدثنا على بن محمد القرشي عن عبد الرحمن بن إبراهيم المستملي عن إبراهيم، بالمبتدأ، والمغازي، والردة...))[٤٢].

وذكر الشيخ الطوسي ﵀ بعد ذكر أسماء كتب الثقفي الأخرى، ومنها: كتاب ((المعرفة)) وذكر طرقه إلى كتب الثقفي هكذا: ((أخبرنا بجميع هذه الكتب أحمد بن عبدون، عن على بن محمد بن الزبير القرشي، عن عبد الرحمان بن إبراهيم المستملي، عن أبي إسحاق إبراهيم بن محمد بن سعيد الثقفي))[٤٣].

وطريق الطوسي إلى كتاب ((المعرفة)): ((وأخبرنا بكتاب المعرفة ابن أبي جيد القمي، عن محمد بن الحسن بن الوليد، عن أحمد بن علوية الأصفهاني المعروف بابن الأسود، عن إبراهيم بن محمد الثقفي))(٤٤).

وطريقه الآخر إلى كتاب المعرفة: ((وأخبرنا به الأجلّ المرتضى على بن الحسين الموسوي أدام الله تأييده، والشيخ أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان المفيد رضي الله عنهم جميعًا، عن على بن حبشي الكاتب، عن الحسن بن على بن عبد الكريم الزعفراني، عن أبي إسحاق إبراهيم بن محمد بن سعيد))(٤٥).

ومن المتأخرين الذين ذكروا الثقفي وكُتُبه العلّامة الكبير السيّد على بن طاووس ﵀ المتوفّى سنة (٦٦٤هـ)، إذ نقل في كتابه ((اليقين)) عن كتاب الثقفي ((المعرفة))، خمسة عشر حديثًا عن رسول الله i في أوصاف الإمام علي بن أبي طالب a ، منها: وصفه بـ ((أمير المؤمنين))، و ((سيّد المسلمين))، و((أمير الغرّ المحجّلين))، و ((خير الوصيين))، ((أولى الناس بالنبيين))، و ((تعلّم الناس من بعدي من تأويل القرآن مالم يعلموا))، و((خاتم الوصيين)).(٤٦)

وكذا نقل السيّد ابن طاووس الحلي ﵀ روايتين من كتاب ((المعرفة))، الأولى: ((...عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: يا أنس، اسكب لي وضوء أتوضأ. ثمّ قام فصلّى ركعتين، ثمّ قال: يا أنس، يدخل عليك من هذا الباب أمير المؤمنين وسيّد المسلمين وقائد الغرّ المحجّلين وخاتم الوصيين. فقلت: اللّهم اجعله رجلًا من الأنصار - وكتمته - إذ دخل على بن أبي طالب. فقال: من هذا يا أنس؟ فقلت: على. فقام مستبشرًا فاعتنقه ثمّ جعل يمسح عرق وجهه بوجه على، وعرق وجه على بوجهه. فقال على a : يا رسول الله، لقد رأيتك صنعت بي اليوم شيئًا ما صنعته بي قط ! قال: وما يمنعني وأنت تؤدي عني وتسمعهم صوتي وتبيّن لهم الذي اختلفوا فيه من بعدي))(٤٧).

والرواية الثانية: ((عن بريدة: إنّ رسول الله i أمرهم أنْ يُسَلّموا على على a بإمرة المؤمنين. فقال عمر بن الخطاب: يا رسول الله، أمن الله أم من رسوله؟ فقال رسول الله i : بل من الله ورسوله))(٤٨).

ومّما تقدم ذكره من منقولات الأعلام المتقدّمين والمتأخرين عن كتاب ((المعرفة)) للثقفي ﵀، يتبيّن أنّ هذا الكتاب كان مملوءًا بروايات كثيرة عن الإمام علي بن أبي طالب a ، أتت على ذكر أمرته للمؤمنين وولايته، ومنزلته من الرسول الأكرم i وأوصافه الكثيرة وغير ذلك، وهذه المواضيع لا يمكن التعاطي بها في ذلك الزمان، وذكرها من قبل أي راوٍ، لأنها كانت تعّد جريمة لا تغتفر، وهي بعد من الممنوعات التي يعاقب عليها الراوي آنذاك، إذ سادت العصبيّة وبلغ الحقد الأموي والعباسي مبلغه، وأستشرت الرواية الموضوعة على آل محمّد الأطهار d ، نعم روايات فضائلهم ينقلها بعض الرواة الخلّص من الشيعة في حال التقيّة والخوف الشديد من الأعداء، ويحدثنا التاريخ انّ الرواة لم يستطيعوا لأجل الخوف من الأمراء أنْ ينقلوا رواية في على a في الأحكام والمسائل التي لا دخل لها بالسياسة و الإمارة؛ قال ابن أبي الحديد المعتزلي: قال أبو جعفر [الأسكافي]: ((وقد صحّ أنّ بني أميّة منعوا من اظهار فضائل على a ، وعاقبوا على ذلك الراوي له حتى أنّ الرجل إذا روى عنه حديثًا لا يتعلق بفضله بل بشرايع الدين لا يتجاسر على ذكر اسمه فيقول: عن أبي زينب))[٤٩].

وبعد هذا الذي جئنا على ذكره، صار واضحًا ما للثقفي من منزلة رفيعة وعمل مبارك في رفع الحيف عن آل محمّد الأئمّة الهداة d إذ كان عمله في خضم تلك الظروف وتحت وطأة أمراء الجورلينشر روايات فضائلهم ويذكّر الناس ما لجاحديهم ومناوئيهم ومنكري حقهم في تلك المدينة التي كانت تضج بالنصب والنواصب، فسلام الله ورحمة منه تعالى على هذا العبد الصالح الموفق للباقيات الصالحات.

النتائج:

١ - النواصب هم الذين ملئوا قلوب أهل أصبهان حقدًا وحقدًا على الإمام علي a وأولاده الأئمّة الطاهرين d بعد مقتل عثمان.

٢- كانت أكثر المدن الإسلاميّة تحت تأثير النواصب ومنها مدينة أصبهان حتى ظهور الدولة الصفويّة.

٣- كان بعض البلاد في إيران بعد رواج الإسلام فيها معهدًا لمحبّي وشيعة أهل البيت d كمدينة قم التي هي عش آل محمّد، والري، وسجستان.

٤- لقد كان للثقفي ﵀ دورًا مهمًّا في نشر فضائل أهل البيت d وبث الروايات التي تحث على موالاتهم ونصرتهم وعدم التخلّي عنهم، وكذ نشر مثالب أعدائهم وحذّر من عدائهم لأن عداوتهم هي محض عداوة لله تعالى ورسوله.

٥- كان كتاب الثقفي الموسوم بـ ((المعرفة)) عملًا جبّارًا، إذ أحدث ثورة في مدينة أصفهان ، وكيف أنّ الكتاب صار من أهم المصادر للفرقين من المسلمين.

٦- الكتاب دليل نجاح هذا الرجل المثابر في خدمة آل الرسول a ، وكيف أنّ ثقته بالله وبمن يخدم وبنفسه، انتهت به إلى هذه النتيجة الطيّبة والمنزلة الرفيعة، وهو بعد مصداقًا لقول الله تعالى: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾. (البقرة: ٢٤٩).

هوامش البحث

(١) معجم البلدان، ياقوت الحموي: ج ٣، ص ١٩١

(٢) الكافي: ج٥، ص١١١ -١١٢

(٣) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد: ج٨، ص٢٣٧

(٤) الغارات، إبراهيم بن محمّد الثقفي الكوفي: ج١، ص٣٦ . روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات، محمد باقر الخوانساري: ج١، ص ٢٦.

(٥) بحار النوار: ج٤١، ص٣٥

(٦) الغارات: ج١، ص٣٦

(٧) منهاج السنّة: ج٥، ص٤٦٦ . الروضة البهيّة: ج٢، ص١٨٥

(٨) سير أعلام النبلاء: ج١٧، ص١٦٩

(٩) منهاج السنّة: ج٥، ص٤٦٦

(١٠) فتح الباري: ج١٣، ص٥٣٧

(١١) النزاع والتخاصم، المقريزي: ص٢١ (تاريخ النزاع).

(١٢) الغدير: ج١٠، ص٣٣٥

(١٣) البداية والنهاية: ج٦، ص١٩٣

(١٤) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد: ج١، ص١٠٧
(١٥) فتح الباري: ج١، ص٥٤٣
(١٦) كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في الفقه: ج٢، ص٦٦
(١٧) المصدر نفسه: ج٨، ص١٥٣
(١٨) كتب ورسائل ابن تيمية في الفقه: ج٢٥، ص٣٠٩
(١٩) الغدير: ج٥، ص٢٩٤
(٢٠) الإمام علي a ، الرحماني الهمداني: ص٥٨٤
(٢١) شرح نهج البلاغة: ج١١، ص٤٤ - ٤٥
(٢٢) دراسات في الحديث والمحدّثين: ص١٧٢
(٢٣) نحو انقاذ التاريخ الإسلامي: ص٢١١؛ ابن حجر: ص٢٠٤؛ حسن بن سقاف: ص٥٧؛ مبار كفوري: ج٩، ص٣١٠؛ البغدادي: ج٨، ص٢٦٢؛ ابن عبد البر: ج٢، ص٤٩٣.
(٢٤) النصائح الكافية لمن يتولّى معاوية: ص١١٧
(٢٥) الغدير: ج٥، ص٢٩٤
(٢٦) تهذيب الكمال في أسماء الرجال: ج٥، ص٥٧٧؛ تاريخ مدينة دمشق: ج١٢، ص٣٤٩
(٢٧) تاريخ مدينة دمشق: ج٧، ص٢٨١
(٢٨) ارغام المبتدع الغبي بجواز زيارة النبي i : ج١، ص٦٣
(٢٩) نفسه: ج١، ص٦٣
(٣٠) الفهرست، الطوسي: ص٣٨، رقم الترجمة ٧
(٣١) المصدر نفسه: ٣٧
(٣٢) الغارات، ج١، ص١٩
(٣٣) رجال النجاشي: ص١٧
(٣٤) القمي شيخ عباس: ص٢٧٠
(٣٥) الفهرست: ص٣١٢
(٣٦) رجال النجاشي: ص١٧
(٣٧) الغارات: ج١، ص٥٥
(٣٨) الغارات: ص ٥٥ - ٥٦
(٣٩) رجال النجاشي: ص١٢
(٤٠) رجال النجاشي: ص١٢
(٤١) المصدر نفسه: ص١٢
(٤٢) المصدر نفسه: ص١٢

(٤٣) الفهرست: ص٦ - ٧
(٤٤) المصدر نفسه: ص ٧
(٤٥) المصدر نفسه: ص٧
(٤٦) اليقين باختصاص مولانا علي a بإمرة المؤمنين: ص ١٩٥.
(٤٧) اليقين باختصاص مولانا علي a بإمرة المؤمنين: ص١٩٦
(٤٨) المصدر نفسه: ص٢٠٧
(٤٩) شرح نهج البلاغة: ج٤، ص٧٣.

قائمة المصادر والمراجع

إن خير مانبتدىء به القرآن الكريم

١ - أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، المقدسي، شمس الدين، القاهرة، ١٤١١هـ.

٢ - ارغام المبتدع الغبي بجواز زيارة النبي i ، الغماري الحسني، عبد الله بن محمد بن الصديق، دار الإمام النووي،الأردن، ١٤١٢هـ.

٣ - الاستيعاب في معرفة الاصحاب، ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله، دار الجيل، بيروت، ١٤١٢هـ.

٤ - الإمام علي a ، الرحماني الهمداني، أحمد، المنير للطباعة والنشر، طهران، ١٤١٧هـ.

٥ - البداية والنهاية، ابن كثير، إسماعيل، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٧٩هـ.

٦ - تاريخ بغداد أو مدينةالسلام، الخطيب البغدادي، أحمد بن على بن ثابت، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلميّة، بيروت، ١٤١٧.

٧ - تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر، أبو القاسم على بن الحسن بن هبة الله بن عساكر الدمشقي، تحقيق: على شيري، دار الفكر للطباعة، بيروت، ١٤١٥هـ.

٨ - تتمّة منتهى الآمال، القمّي، عباس، المكتبة المركزيّة، طهران د ت.

٩ - تَهذيبُ التَهْذِيب، ابن حَجَر العسقلاني، أحمد بن على، تحقيق: خليل مأمون شيحا وعمر السلامي وعلي بن مسعود. دار المعرفة، بيروت، ١٩٩٦م.

١٠ - تهذيب الكمال في أسماء الرجال، المزّي، أبو الحجّاج يوسف، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٦هـ.

١١ - تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، سليمان بن عبد الوهاب، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، دت.

١٢ - دراسات في الحديث والمحدّثين، الحسني، هاشم معروف، دار التعارف، بيروت، ١٣٩٨هـ.

١٣ - الروضة البهيّة، الشهيد الثاني، زين الدين، انتشارات داوري، قم، ١٤١٠هـ.

١٤ - سير أعلام النبلاء، الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، ط٩، مؤسسة الرسالة، بيروت، (١٤١٣هـ- ١٩٩٣م).

١٥ - شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، عبد الحميد المعتزلي، مكتبة المرعشي النجفي، قم، ١٣٧٨هـ.

١٦ - الطبقات الكبرى، ابن سعد، محمّد، دار الكتب العلميّة، بيروت، ١٤١٠هـ.

١٧ - طرائف المقال، البروجردي، على الجابقلي، تحقيق مهدي الرجائي مكتبة المرعشي النجفي (قم، ١٤١٠هـ).

١٨ - الغارات، الثقفي، إبراهيم بن محمّد الكوفي، مطبعة بهمن، قم، دت.

١٩ - الغدير في الكتاب والسنة والأدب، الأميني، عبد الحسين،ط٤، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٣٩٧هـ .

٢٠ - فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، ط٢، دار المعرفة، بيروت.

٢١ - فهرست أسماء مصنفي الشيعة (رجال النجاشي)، النجاشي، أبو العباس أحمد، جامعة المدرّسين، قم، ١٤١٦هـ).

٢٢ - الفهرست، ابن النديم، محمّد بن إسحاق، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٨هـ.

٢٣ - الفهرست، الطوسي، محمّد بن الحسن، النجف الأشرف، المكتبة الرضويّة.

٢٤ - الكافي، الكليني، محمد بن يعقوب، المطبعة الحيدرية، ١٣٧٩هـ.

٢٥ - كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في الفقه، ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، مكتبة ابن تيمية، الرياض، دت.

٢٦ - معجم البلدان، ياقوت الحموي، شهاب الدين، دار صادر، بيروت، ط٢، ١٩٩٥م.

٢٧ - منهاج السنة النبويّة، ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، مؤسسة قرطبة، ١٤٠٦هـ.

٢٨ - نحو انقاذ التاريخ الإسلامي، المالكي، حسن بن فرحان، مؤسّسة اليمامة الصحفيّة، الرياض، ١٤١٨هـ.

٣٠ - النزاع والتخاصم، المقريزي، تقي الدين، المطبعة الإبراهيميّة، ١٩٣٧م.

٣١ - النصائح الكافية لمن يتولى معاوية، ابن عقيل، محمد، دار الثقافة، قم، ١٤١٢هـ.

٣٢ - هديّة العارفين، البغدادي، إسماعيل باشا، دار إحياء التراث العربي، بيروت، دت.

٣٣ - اليقين باختصاص مولانا على a بإمرة المؤمنين، ابن طاووس، على بن موسى، دار الكتاب، قم، ١٤١٣هـ.